

## تفسير سورة التوبة 7-12

### تفسير سورة التوبة 7-12

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (7)

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ} أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد، لا ينبغي هذا أن يكون، ثم استثنى فقال جل وعلا {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} قال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وقيل غير ذلك. قال الله تعالى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} أي: على الوفاء بالعهد فلم ينقضوه {فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} على الوفاء بالعهد أنتم أيضاً ولا تنقضوه {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} الذين يوفون بعهدهم.

قال ابن كثير: وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وال المسلمين.

استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد، ومالؤوا حلفاءهم، وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقتلواهم معهم في الحرم أيضاً، فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام، ومكنته من نواصيهم - ولله الحمد والمنة - فأطلق من أسلم منهم بعد الظهر والغلبة عليهم، فسموا اللقاء، وكانوا قريباً من ألفين.

ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث إليه بالأمان والتسهير في الأرض أربعة أشهر يذهب حيث شاء، ومنهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام التام، والله المحمود على جميع ما يقدر ويفعله. انتهى

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَلَا يَرْقُبُوا فِيْكُمْ إِلَّا وَلَلَا ذَمَّةٌ يُرْضِيُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَابَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسْقُونَ} (8)

{كيف} يكون لهم عهد عند الله {و} هم {إن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} إن كانت لهم القوة عليكم ويظفروا بكم {لَلَا يَرْقُبُوا} لا يراعوا ولا يحفظوا {فِيْكُمْ إِلَّا وَلَلَا ذَمَّةٌ} لا يرحمونكم إن قدروا عليكم ولا يراعوا فيكم رحماً وقرابة ولا عهداً.

قال بعض أهل العلم: الإل الرحم والقرابة، والذمة العهد.

قال ابن كثير: يقول تعالى محرضاً للمؤمنين على معاداتهم والتبني منهم، ومبيناً أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنهم لو ظهروا على المسلمين وأدِيلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ

يُبْقُوا وَلَمْ يَذْرُوا، وَلَا رَاقِبُوا فِيهِمْ إِلَّا وَلَا ذَمَةٌ. انتهى  
} يُرْضِونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ } أي: يقولون لكم بآلسنتهم ما يرضيكم  
} وَتَأْبَى قُلُوبِهِمْ } أي ما في قلوبهم يرفض ما على السنتهم ولا  
يطاووه } وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } خارجون عن طاعة الله،  
 العاصون له، فإن قيل: هذا في المشركين، وكلهم فاسقون  
الفسق، فكيف قال } وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }؟ قيل: أراد بالفسق  
نقض العهد ها هنا، وكان في المشركين من وفى بعهده،  
وأكثرهم نقضوا، فلهذا قال: } وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }.

{ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (9)

{ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } يعني امتنعوا عن اتباع آيات  
الله واستبدلوا بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة  
{ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ } فمنعوا الناس من الدخول في دين الله  
{ إِنَّهُمْ سَاءَ } بئس { مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

{ لَلَا يَرْقِبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ } (10)

{ لَلَا يَرْقِبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَلَا ذِمَّةً } أي لا يراغون ولا  
يحفظون في مؤمن قرابة ولا عهداً، لشدة بغضهم وعداوتهم  
لإيمان؛ فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم  
لو غلبوا وكانت لهم قوة } وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }

المتجاوزون لحدود الله، الظالمون.

قال السعدي: "فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم هو الإيمان؛ فذبوا عن دينكم وانصروه، واتخذوا من عاداه لكم عدواً، ومن نصره لكم ولیاً، واجعلوا الحكم يدور معه وجوداً وعدماً، لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية، تميلون بهما حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء". انتهى

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْرَجْنَاكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْلِّيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (11)

{فَإِنْ تَابُوا} من الكفر {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْرَجْنَاكُمْ} فهم إخوانكم {فِي الدِّينِ} صاروا مسلمين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم {وَنُفَصِّلُ الْلِّيَاتِ} نبين الآيات ونوضحها {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} فهم الذين ينتفعون بها.

قال السعدي: "فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم عرف دين الإسلام، وشرائع الدين.

اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين". انتهى

{وَإِنْ نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} (12)

{وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ} وَإِنْ نَقْضَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عاهدواهُمْ، إِنْ نَقْضُوا عهودهُمْ {مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} مِنْ بَعْدِ مَا عاقدُوكُمْ، أَنْ لَا يَقْاتِلُوكُمْ وَلَا يُنَصِّرُوكُمْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِكُمْ {وَطَعَنُوا} قَدْ حَوَّا {فِي دِينِكُمْ} وَعَابُوهُ {فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} رؤُوسَ الْكُفَّارِ وَقَادَتْهُمْ {إِنَّهُمْ لَلَا أَيْمَانَ لَهُمْ} أَيْ: لَا عهودَ لَهُمْ، جَمْعُ يَمِينٍ. أَيْ لَا وِفَاءَ لَهُمْ بِالْعَهْدِ {أَعْلَمُهُمْ يَنْتَهُونَ} أَيْ قَاتَلُوهُمْ لَكِي يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ، وَعَنِ الطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ وَالْمُظَاهَرَةِ عَلَيْكُمْ.